أضواء على العلاقة بين مملكتي آدوم ويهوذا في القرنين السادس والخامس ق.م

د. عبد المعطى محمد عبد المعطى سمسم*

مقدمة

إن معظم الأبحاث العربية في التاريخ اليهودي القديم ، تكاد تكون محصورة في تاريخ بني إسرائيل (بني يعقوب) ولاشك أن هناك أمماً قد عاصرت تكوينهم السياسي والحضاري من أبناء عمومتهم ، ومن المجاورين لهم ، أو أولئك الذين احتلوا أراضيهم وشردوا أهلها الأصليين وهو دأب بني إسرائيل على مر العصور، ومن هنا كان اختيار موضوع العلاقات بين يهوذا وآدوم وأثر ذلك على إنهاء التكوين السياسي ليهوذا .

تأتى أهمية اختياري هذه الدراسة هي إبراز وكشف حقيقة تاريخية وهي : أن اليهود وعلى مدى تاريخهم لم يكونوا يوماً أصدقاء لأحد ، ولا حتى اقرب الناس لهم، بل ظلوا أعداء لأنفسهم أولاً ، وللبشرية جمعاء ثانياً ، ولم يحظوا باحترام الشعوب التي جاوروها أو حتى التي عاشوا في كنفها وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ{٨٣} وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ{٨٤} ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ{٨٥} سورة البقرة

وأيضاً يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

{٦٣} وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ{٦٤} سورة المائدة

وعلى أية ، حال فهذه الدراسة هي أضواء على العلاقة بين آدوم (أبناء عيسو بن أسحاق) ويهوذا (أبناء يعقوب بن اسحاق) خلال القرنيين السادس والخامس قبل الميلاد ، وتتضمن مقدمة عن بكورية تلك العلاقات ، وجذور العداء بينهما، إذ تتبعت

---

* أستاذ مساعد التاريخ القديم – وكيل كلية المعلمين بمكة المكرمة لشؤون الطلاب

تلك العلاقات من خلال المصادر التاريخية والأثرية والمراجع الحديثة ، ولاشك فإن النصيب الأكبر مما اعتمدت عليه الدراسة هو التوراة ، وقد حاول الباحث الاستشهاد ببعض مقاطع الإصحاح تاركاً للقارئ الرجوع إلى المزيد من خلال الإشارة إلى الإصحاح بالكامل لمن أراد التوسع

إن تاريخ آدوم[١]، في السنوات الأخيرة لمملكة يهوذا[٢] وحتى طردهم من أرضهم الأم-كما سيأتي بعد - يكتنفه الكثير من الغموض. ويظهر ذلك من خلال النصوص التوراتية التي تصف العلاقة بين يعقوب (إسرائيل) عليه السلام ، وعيسو(آدوم) ابني إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، حيث كانت هناك عداوات قديمة بينهما ، وكانت يهوذا تعد آدوم من ألد أعدائها[٣] ، حتى أنَ المنازعات السياسية بين

---

(١) آدوم اسم عرف به عيسو بن اسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهو شقيق توأم لأخيه يعقوب عليه السلام ، وسمى عيسو لأنه ولد كثيف الشعر والعثى ، أي صاحب جدايل شعر طويلة ، والأعثى هو الذى يكسو الشعر وجهه وجسمه ، وسمى آدوم لأنه وكما تذكر التوراة ، ولد احمر ، أو انه سمى كذلك لتنازله عن بكوريته مقابل حفنة من العدس الاحمر وهبه له أخوه يعقوب ، ولقد اتخذ الآدوميون من جنوب شرق الأردن موطناً لهم من عهد عيسو بن إسحاق ، وانتشروا غرباً حتى جبال الطور في شبه جزيرة سينا ، كما امتدت أراضيهم شمالا حتى وادي الحسا، ، وشرقا إلى أرض العمونيين، وجنوبا حتى خليج العقبة، وتسمى أرضهم آدوم أو أرض سعير أحينا ، مكونين هناك مملكة قوية ، ولقد انتهى التكوين السياسي والاجتماعي لهم في العقد الثالث من القرن الثاني ق.م أي في حوالي (١٣٠ ق.م) ، حيث اندمجوا في اليهود من ناحية ، وفى الأنباط العرب من ناحية أخرى. انظر:
تكوين ٢٥: ٢٥؛ ٢٧: ١١-١٣ ؛ نسيب وهيبته الخازن:من الساميين إلى العرب، منشورات مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩م، صـ٦٥-٦٦ و٩٧-٩٨ ؛ محمد بيومى مهران ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، الرياض ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م، صـ ٤٥٩ ؛ محمد بيومى مهران، بنو إسرائيل، الجزء الثاني، التاريخ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٩م، ص ٥٠٥ ، إسرائيل والفنسون: تاريخ اللغات السامية، دار العلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م ص١٠٥.
Avi –yonah, M., Ecyclopdia. Of Archaeological. Excavoitions in The Holy Land, 4 Vols, oxford, 1978.

(٢)انقسمت مملكة بني إسرائيل بعد وفاة سليمان عليه السلام إلى مملكتين (أولا) مملكة يهوذا بالجنوب وعاصمتها أورشليم ، حيث تمتد حدود دولتهم في تلك الأرض المجدبة يحيط بها الأعداء من كل جانب،وأول ملوكها هو رحبعام بن سليمان ، وتعاقب بعده عشرون ملكاً، وعمرت زهاء أربعة قرون حتى سقطت على يد الملك البابلي الكلداني نبوخذ نصر الثاني سنة ٥٨٦ ق.م، ومن الجدير بالذكر أن العرش لم ينتقل بها من بيت إلى أخر، كما كان الحال في مملكة إسرائيل ، وذلك بان الأسرة المالكة في يهوذا قد نالت نفوذاً على الشعب ، الذي لم يقدر له أبداً أن يستاصل شأفتها حتى أصبح الاستقلال حلماً بعيد المنال .
(ثانياً) مملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها شكيم ، وأول ملوكها بريعام ، تعاقب بعده حوالي تسعة عشر ملكاً ، وعمرت زهاء مائتين وخمسين عاما وكانت نهايتها على يد الملك الأشوري سرجون الثاني سنة ٧٢١ ق.م .
انظر: ولزا، هـ.ج: معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، الطبعة الثالثة ، المجلد الثاني، القاهرة ١٩٦٩م صـ ٢٩٦؛ محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، الطبعة الأولي ، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧م.، ص ٤٨-٤٩ ؛ محمد بيومى مهران :المرجع السابق ، ص ٨٥١ .

(٣) هناك من يرى أن الهجرة الثانية في تاريخ العبرانيين إلى أرض كنعان، هجرة يعقوب عليه السلام، وبنيه من فدان آرام إلى جرون- وكانت الهجرة الأولى هجرة إبراهيم عليه السلام، والذين معه من حران إلى كنعان- وربما كان من الأفضل الإشارة هنا إلى أن هذه هي البداية الحقيقية لتاريخ الإسرائيليين- وليس العبرانيين- ذلك أن بني يعقوب- والذي سوف يلقب بإسرائيل- بعد حين من الدهر قليل- إنما سينفصلون عن إخوتهم من بني عيسو- أو الآدوميين- وعن بني عمومتهم من بني إسماعيل- أو العرب- وكذا عن بقية ذرية إبراهيم عليه السلام.
انظر.محمد بيومى مهران ، بنو إسرئيل ، الجزء الأول ، التاريخ ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م ، ص١٨٣ .

الفريقين استمرت عدة قرون، ولعل السبب في ذلك إنما يرجع إلى عوامل نفسية، أكثر منها عوامل سياسية، فالآدميون يحسون أن الاسرئيليين قد سرقوا حقهم في البركة أولاً:

١١فقالَ يعقوبُ لرفقةَ أمِّهِ: «لكنَّ عيسو أخي رَجلٌ أشعَرُ وأنا رجلٌ أملسُ. ١٢ماذا لو جسَّني أبي فوجدَني مُخادِعًا؟ ألا أجلِبُ على نفسي لعنةً لا بركةً؟» ١٣فقالت له أمُّهُ: «عليَ لعنتُكَ يا ابني. ما عليكَ إلاَّ أنْ تسمعَ لِكلامي وتذهبَ وتجيئَني بالجديَين. ١٤فذهبَ وجاءَ بهما إلى أمِّهِ، فهيَّأت أطعمةً على ما يُحبُّ أبوهُ. ١٥وأخذت رفقةُ ثيابَ عيسو ابنِها الأكبرِ الفاخرةَ التي عِندَها في البَيتِ، فألبستْها يعقوبَ ابنَها الأصغرَ ١٦وكست يَدَيهِ والجانبَ الأملسَ مِنْ عُنُقِهِ بِجلدِ المَعَز. ١٧وناولت رفقةُ يعقوبَ ما هيَّأتْهُ مِنَ الأطعمةِ والخبز، ١٨فدخلَ على أبيهِ وقالَ: «يا أبي»، قالَ: «نعم، مَنْ أنتَ يا ابني؟ ١٩» فقالَ له يعقوبُ: «أنا عيسو بِكرُكَ. فعلْتُ كما أمرْتَني. قُمِ اجلِسْ، وكُلْ مِنْ صَيدي، وامنَحْني بركَتَكَ». ٢٠فقالَ له إسحَقُ: «ما أسرعَ ما وجدْتَ صَيدًا يا ابني!» قالَ: «الرّبُّ إلهُكَ وفَّقني». ٢١فقالَ: «تعالَ لأجسَّكَ يا ابني، فأعرفَ هل أنتَ ابني عيسو أم لا». ٢٢فتقدَّمَ يعقوبُ إلى إسحَقَ أبيهِ، فجسَّهُ وقالَ: «الصَّوتُ صوتُ يعقوبَ، ولكنَّ اليدَين يَدا عيسو». ٢٣ولم يعرِفْهُ، لأنَّ يَدَيهِ كانتا مُشعِرتَين كيَدَيْ عيسو أخيهِ. فقبلَ أنْ يباركَهُ. ٢٤قالَ: «هل أنتَ حقا ابني عيسو؟» قالَ: «أنا هوَ». ٢٥فقالَ: «قدِّمْ لي مِنْ صَيدِكَ، يا ابني، حتى آكُلَ وأباركَكَ». فقدَّمَ له فأكلَ، وجاءَ بخمرٍ فشربَ. ٢٦وقالَ له إسحَقُ: «تقدَّمْ وقبِّلْني يا ابني.٢٧ «فتقدَّمَ وقبَّلَه، فشمَ رائحةَ ثيابِه وباركَه .[1]،

ثم من البكورية ثانياً :

٢٩وطبخ يعقوبُ طبيخا، فلمَّا عادَ عيسو مِنَ الحقلِ وهوَ خائرٌ مِنَ الجوع ٣٠قالَ ليعقوبَ: «أطعِمني مِنْ هذا الإدامِ لأنِّي خائرٌ مِنَ الجوع». لذلِكَ قيلَ له أدومُ. ٣١فقالَ له يعقوبُ: «بِعْني اليومَ بَكُوريَّتَكَ». ٣٢فأجابَ عيسو: «أنا صائرٌ إلى الموتِ، فما لي والبَكوريَّةُ». ٣٣فقالَ يعقوبُ: «احلِفْ ليَ اليومَ .«فحلَفَ له وباعَ بَكُوريَّتَه لِيعقوبَ. ٣٤فأعطى يعقوبُ عيسو خبزًا وطبيخا

[1] تكوين : ٢٥ : ١٩-٣٤ ؛ ٢٧ : ٣٤- ٤٠ ؛ تثنية ١:٢-١٤ ؛ عدد ٢٠: ١٨-٢١ .

مِنَ العدَس، فأكلَ وشربَ وقامَ ومضَى. واستخفَ عيسو بالبكُوريَّةِ . (١)

هذا إن كانت رواية التوراة بشأنهما صحيحة،ومن هنا أتى موقف الآدميين من الاسرئيليين أثناء التيه في الصحراء والذين أعاقوا تقدمهم :

١٤ وَأَرْسَلَ مُوسَى رُسُلاً مِنْ قادَشَ إِلَى مَلِكِ آدُومَ: «هكَذَا يَقُولُ أَخُوكَ إِسْرَائِيلُ: قَدْ عَرَفْتَ كُلَّ الْمَشَقَّةِ الَّتِي أَصَابَتْنَا. ١٥ إِنَّ آبَاءَنَا انْحَدَرُوا إِلَى مِصْرَ، وَأَقَمْنَا فِي مِصْرَ أَيَّامًا كَثِيرَةً وَأَسَاءَ الْمِصْرِيُّونَ إِلَيْنَا وَإِلَى آبَائِنَا، ١٦ فَصَرَخْنَا إِلَى الرَّبِّ فَسَمِعَ صَوْتَنَا، وَأَرْسَلَ مَلاَكًا وَأَخْرَجَنَا مِنْ مِصْرَ. وَهَا نَحْنُ فِي قادَشَ، مَدِينَةٍ فِي طَرَفِ تُخُومِكَ. ١٧ دَعْنَا نَمُرَّ فِي أَرْضِكَ. لاَ نَمُرُّ فِي حَقْلٍ وَلاَ فِي كَرْمٍ، وَلاَ نَشْرَبُ مَاءَ بِئْرٍ. فِي طَرِيقِ الْمَلِكِ نَمْشِي، لاَ نَمِيلُ يَمِينًا وَلاَ يَسَارًا حَتَّى نَتَجَاوَزَ تُخُومَكَ». ١٨ فَقَالَ لَهُ آدُومُ: «لاَ تَمُرَّ بِي لِئَلاَّ أَخْرُجَ لِلِقَائِكَ بِالسَّيْفِ». ١٩ فَقَالَ لَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ: «فِي السِّكَّةِ نَصْعَدُ، وَإِذَا شَرِبْنَا أَنَا وَمَوَاشِيَّ مِنْ مَائِكَ أَدْفَعُ ثَمَنَهُ. لاَ شَيْءَ. أَمُرُّ بِرِجْلَيَّ فَقَطْ». ٢٠ فَقَالَ: «لاَ تَمُرَّ». وَخَرَجَ أَدُومُ لِلِقَائِهِ بِشَعْبٍ غَفِيرٍ وَبِيَدٍ شَدِيدَةٍ. ٢١ وَأَبَى أَدُومُ أَنْ يَسْمَحَ لإِسْرَائِيلَ بِالْمُرُورِ فِي تُخُومِهِ، فَتَحَوَّلَ إِسْرَائِيلُ عَنْهُ.(٢)

يتضح من هذا النص ما أثار على آدوم حقد بني إسرائيل، الأمر الذي تظهر آثاره بوضوح إبان التاريخ اليهودي القديم، ثم يستمر حتى السبي البابلي ليهوذا في عام٥٨٦ ق.م حيث يستولى الآدوميون عليها، حتى مدينة حبرون، وفي القرن الخامس قبل الميلاد استولى النبط على جبل سعير، وطردوا الآدوميين منه (٣). مع الأخذ في الاعتبار أنه لا يمكن أخذ تاريخ معظم هذه النصوص التوراتية بثقة كاملة، حيث تشير إلى عداوة ليس لها مثيل بين المملكتين ، ترجع بطريقة مباشرة وغير مباشرة من جانب آدوم ضد يهوذا، إلا أن عداء هذه الأخيرة لآدوم ، لم يكن مكثفًا قبل الأحداث التي أدت إلى انهيار دولة يهوذا ، حيث تشير تلك النصوص أن تلك العلاقات العدائية بين آدوم وبني إسرائيل تظهر بوضوح في عهد موسى عليه السلام في إشارة إلى رفض الآدوميين السماح بعبور بني إسرائيل على أرضهم نحو أرض كنعان (٤) ثم تنقطع أخبار الآدوميين بعد ذلك قرابة أربعمائة عام ، حتى عهد الملك شاؤل (١٠٢٠- ١٠٠٠ ق.م) مؤسس أول مملكة لبني إسرائيل على أرض فلسطين ، الذي حارب الآدوميين

---

(٢) تكوين : ٢٥ : ١٩-٣٤ ؛ ٢٧ : ٣٤- ٤٠ ؛ تثنية ١:٢-١٤ ؛ عدد ٢٠: ١٨-٢١ .

(١) عدد ٢٠ : ١٤-٢١ .

(٢) إسرائيل والفنسون : المرجع السابق ، ص١٠٥ ؛ نسيب وهبة الخازن: المرجع السابق ، ص٦٦ – ٦٨ ؛ محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٥٠٦ .

(٣) العدد ٢٠: ١٤-٢١ .

وهزمهم ، وقبلها كانت حملات داود ، عليه السلام عليهم (١٠٠٠-٩٦٠ق.م) وذلك أن يوآب ، قائد جيش داود ، عليه السلام ، كان قد اجتاح آدوم وقتل كل ذكورها بحد السيف ، وجعل من آدوم ولاية تابعة لمملكة داود ، وتستمر أيضاً العداوة في عهد سيدنا سليمان عليه السلام ، على الرغم من وجود إشارات تدل على وجود فترات سلام بين مملكته وآدوم ، وذلك بوساطة مصرية، نعمت فيه آدوم بالاستقلال على عهد أحد ملوكها وهو هدهد بن حداد[١] الذي تفرد بعرش آدوم ، وعلى ما يبدو أن سيدنا سليمان عليه السلام اكتفى بالامتيازات التجارية التي حصل عليها في أرض الآدوميين وموانئها .

و في عهد الملك يهوشافط (٨٧٣-٨٤٩ق.م) ملك يهوذا حيث مرت العلاقات بين يهوذا وآدوم بمرحلتين ، سارت الأولى على نهج سياسية سليمان عليه السلام ، حيث تحالفت يهوذا مع آدوم ضد مؤاب في حملة فاشلة فيما نجده في التالي :

٤ وَكَانَ مِيشَعُ مَلِكُ مُوآبَ صَاحِبَ مَوَاشٍ، فَأَدَّى لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ مِئَةَ أَلْفِ خَرُوفٍ وَمِئَةَ أَلْفِ كَبْشٍ بِصُوفِهَا. ٥ وَعِنْدَ مَوْتِ أَخْآبَ عَصَى مَلِكُ مُوآبَ عَلَى مَلِكِ إِسْرَائِيلَ. ٦ وَخَرَجَ الْمَلِكُ يَهُورَامُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مِنَ السَّامِرَةِ وَعَدَّ كُلَّ إِسْرَائِيلَ. ٧ وَذَهَبَ وَأَرْسَلَ إِلَى يَهُوشَافَاطَ مَلِكِ يَهُوذَا يَقُولُ: «قَدْ عَصَى عَلَيَّ مَلِكُ مُوآبَ. فَهَلْ تَذْهَبُ مَعِي إِلَى مُوآبَ لِلْحَرْبِ؟» فَقَالَ: «أَصْعَدُ. مِثْلِي مِثْلُكَ. شَعْبِي كَشَعْبِكَ وَخَيْلِي كَخَيْلِكَ». ٨ فَقَالَ: «مِنْ أَيِّ طَرِيقٍ نَصْعَدُ؟». فَقَالَ: «مِنْ طَرِيقِ بَرِّيَّةِ آدُومَ» [٢]

حيث نتبين من هذا النص مدى تحالف آدوم مع إسرائيل ، إذ ساعد ذلك على أن تصون إسرائيل البقية الباقية لها من نفوذه في آدوم . أما الثانية ، فقد عاد العداء فيها بين يهوذا وآدوم ، على إثر إقامة الملك يهوشافط حلف مع أخاب ملك إسرائيل - بعد زواج ولي عهد يهوذا يهورام بن يهوشافط من عثليا ابنة أخاب وإيزابيل - ضد مؤاب وآدوم وعمون .[٣]

---

(١) استطاع "هدد"- وهو طفل أدومي من الأسرة المالكة- أثناء حملة يوآب على آدوم، أن يهرب إلى أرض مصر، وحين اشتد ساعده وجد رضا في عين فرعون،الذي زوجه من تحفنيس(تحفنيس) أخت زوجه الملكة، ثم عاد هدد إلى آدوم بغير موافقة فرعون، وأصبح العدو اللدود لسليمان عليه السلام مدى الحياة. انظر : محمد بيومي مهران: المرجع السابق ، ص٧١٧ ؛

Gardiner, A.H, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1969,P329

(٢) انظر عن هذه الحملة : الملوك الثاني ٣: ٤- ٢٧ ؛

Finegan., J., light from the Ancient Past, The Archaeological Background of Judaism and Christianity , Princeton, 1969,PP.188-789.

(٣) انظر عن تلك الاحداث : صموئيل الأول ١٤ : ٤٧-٤٨ ؛ صموئيل الثاني : ٨: ١٣-١٤ ؛ الملوك الثاني ١١ : ١٥ - ١٦ ؛ ٢٤ : ٧ - ١٠ ؛ أخبار الأيام الثاني٢١: ٨ ؛ ٢٥: ١١- ١٧ ؛ نسيب وهيبة الخازن ، المرجع السابق ، ص ٧٠ ؛ محمد بيومي مهران ، بنو إسرائيل ، الجزء الثاني ، ص ٦٢٠ ؛

Hall, H.R., The Ancient History of the Near East, London, 1963 , P.431; Gardiner, A.H, op.cit , P,329;

Eissfeld, O; "The Hebrew Kingdom" CAH, vol. II, Part 2, P.601;Lods,A., Israel From it's Beginnings to The Middle of the Eighth Century, London, 1962, P.69; North, M., The History=

هذا وتشير النصوص التوراتية إلى استمرار العداء بين آدوم و يهوذا ، في عهد الملك يهورام بن يهوشافط (٨٤٩ - ٨٤٢ ق.م) حيث كانت آدوم في تمرد مستمر ضد يهوذا ، فرفضت دفع الجزية ليهوذا ، بالإضافة إلى أنها انتهزت فرصة هزيمة إسرائيل ويهوذا على يد مؤاب، ونتيجه لذلك أطاحت بولائها ليهوذا على الرغم من محاولة يهورام- كما فعل أبوه من قبل- أن يستعيد نفوذه هناك، ولكنه لقي هزيمة منكرة .[١] كان من نتائجها ضياع نفوذ آدوم ، وعلى أثرها أقام الأدوميون ملكاً عليهم واحتفظوا باستقلالهم.[٢]

وفي عهد ملك يهوذا أمصيا (٨٠٠-٧٨٣ ق.م)فقد قام بعدة حملات حتى تمكن من إعادة سيطرة يهوذا على آدوم ، ودخول عاصمتها (سالع) [٣] واستبدل اسمها إلى (يفتئيل)[٤] التي تعنى الخاضع لله . وطبقا لما جاء في التوراة فإن أمصيا قد أحضر معه معبودات آدوم ، وسجد أمامها وأوقد لها كما جاء في النص التالي :

=of Israel, London, 1965, P.206; Israel , E., the Ancient Arabs, Leaden, 1982, P.69; Keller, W., The Bible as History , Archaeology Confirms The Book of Books Thirteenth impression, in Great Britain, 1967 , PP. 230-234.

وانظر عن كل من (أ) مؤاب:

ينسب المؤابيون- طبقاً لرواية التوراة- إلى مؤاب بن لوط عليه السلام، ويطلق عليهم في التوراة أحياناً "مؤاب"، وهم من الشعوب التي تتصل بالعبرانيين بصلة قرابة عن طريق لوط ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام، ويقع إقليم المؤاب شمال الحسا -الذي يفصله عن آدوم، والمعروف في التوراة بوادي زاد- وقد امتدت مملكة مؤاب من ناحية الشرق من البحر الميت حتى الصحراء واتسعت شمالاً حتى وادي الموجب، وهو نهر أرنون في سفر العدد، ويتكون من وادي"وله" الذي يأتي من الشمال الشرقي، وادي عنقيلة الآتي من الشرق،و سيل الصعدة الآتي من الجنوب.انظر تكوين ١٩: ٣٧ ؛ عدد ٢١: ١٣ - ١٤ ؛ ٢٢: ٣ - ٢٤ ؛ الملوك الثاني ١:١؛ قاموس الكتاب المقدس١/٥٧؛ محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم (٨) بلاد الشام، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، ١٤١٠ /١٩٩٠م، ص٢٢١.

(ب) عمون: تروي التقاليد الإسرائيلية في سفر التكوين أن العمونيين إنما كانوا ينسبون إلى " بني عمون" بن لوط. وأن المنطقة التي سكنوها كانت مسكناً للرفائيون فيها قبلاً، لكن العمونيين يدعونهم زمزميين، شعب كبير وكثير وطويل كالعشاقيين، أبادهم الرب من أمامهم، فطردوهم وسكنوا مكانهم. وأن منطقتهم هذه قد حرمت على الإسرائيليين. انظر: تكوين ١٩ : ٣٨ ؛ تثنية ٢: ١٩-٢١ ، محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص ٢٢٤.

(٢) الملوك الأول ٢٢: ٢٨- ٤٩؛ الملوك الثاني ٨ - ٩ ، ٢٠ -٢٤؛ ١٤: ٧ -١٠؛ الأيام الثاني ٢١: ٨ ؛ ٢٥:١١- ١٧ ؛ ٢٨: ١٧؛ محمد بيومى مهران، بنو إسرائيل ، الجزء الثاني، ص ٨٥٨- ٨٥٩.

(٣) الأيام الثاني ٢١: ٨ ؛ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص ٧١.

(٤) تقع سالع (البتراء) شرق وادي عربه وعلى بعد ٨٠ كيلا إلى الجنوب الشرقي من البحر الميت وسالع في العبرية تعنى الشق من الصخر ثم تغير اسمها إلى البتراء ، وهي كلمة يونانية تعنى " الصخر " ، وربما كانت التسمية العبرية أكثر دقة ، لأن مدخل البتراء يتسم بوجود أخدود عميق بين جبلين ، يعرف اليوم باسم " السق " ولعله لفظ نبطي متوارث حرفه الناس من " الشق " في السبئية القديمة. انظر :

محمد بيومى مهران : بنو إسرائيل، الجزء الثاني ، ص٥٠٧ ، ٨٦٣ ؛ : مصر والشرق الأدنى القديم (٨) بلاد الشام ،ص٢١٩.

(١) الملوك الثاني ١٤: ٧؛ الأيام الثاني ٢٥: ١١ - ١٤ ؛

Kennedy. A.B.W, Petra, History and monumerits, London, 1925, p 78.; Hastings, A, Dictionary of the Bible. Edinburgh, 1936,P 853 ; Altheim (F), and Stiehl (R), Die Arabea in der. Altenwelt, Berlin, 1964- 1968, p 283.

١٤ ثُمَّ بَعْدَ مَجِيءِ أَمَصْيَا مِنْ ضَرْبِ الأُدُومِيِّينَ أَتَى بِآلِهَةِ بَنِي سَاعِيرَ وَأَقَامَهُمْ لَهُ آلِهَةً، وَسَجَدَ أَمَامَهُمْ وَأَوْقَدَ لَهُمْ. (١).

مع أن هناك من يرى أن آدوم لم تخضع خضوعاً كاملاً ليهوذا في عهده (٢).

وعلى أية حال فهناك نص توراتي ، يتضمن فحواه إشارات إلي المحبة التي يجب أن يكون عليها أناس بني إسرائيل وآدوم.

"لاتكره آدوميا لأنه أخوك..... الأولاد الذين يولدون لهم في الجيل الثالث يدخلون منهم فى جماعة الرب"(٣)

هكذا نجد أن موجة السلام تلك ، وصلت إلى حد السماح بالتزاوج بين بنى إسرائيل والأدوميين(٤). ولعل مايؤكد موجة السلام تلك ، أن العلاقة بين يهوذا وآدوم. قد جنحت إلى السلم فى عهد ملك يهوذا المدعو حزقيا (٧١٥-٦٨٧ ق.م) حيث إنه بعد موت الملك الأشوري سرجون الثاني ، طلب حزقيا من مصر التدخل في شئون فلسطين لتدعيم مركز الثائرين ، ومساعدتهم على التخلص من البطش الآشوري ، وهكذا تكون حلف يضم فينيقيا ، وفلسطين، ومؤاب ، وآدوم ، وعمون ، فضلاً عن بعض القبائل العربية من شمال شبه الجزيرة العربية ، وعلى رأسها " تلخونا " ملكة أدوماتو (دومة الجندل) ، وأخيراً حزقيا ملك يهوذا ، حيث عصى ملك آشور ولم يتعبد له وفوق الجميع كانت مصر (٥) .

وهناك شقفة عثر عليها عند تل (أراد)(٦) في موقع غير محدد الطبقة ، ولكنها تتبع نفس الفترة ، أي القرن السادس ق.م ، عبارة عن رسالة عسكرية من أراد إلى إيليا شب قائد الموقع الأمامي عند رامات- نجب، وهي كما يلي :

"من أراد ..... سوف ترسلهم إلى رامات - نجب بواسطة ملكيجة بن... وتوصلهم إلى إيليا شب بن أرميا في رامات- نجب خشية أن يحدث شيء للمدينة. وكلمة الملك معك(؟) انظر

---

(٢) الأيام الثاني ٢٥ : ١٤.

(٣) نسيب وهيبه الخازن، المرجع السابق، ص ٧١.

(٤) تثنية ٢٣: ٧-٨.

(٥) انظر عن السماح بالتزاوج والآراء التي دارت حول ذلك :

Calling, k., "Das Gemeindegesatz. In Deuteronomiwm. 23", (in) Festschrift Fur Alfred (Berthdet, Tubingen: Mohr,1950), PP.176-191.

(٦) الملوك الثاني ٢٠: ١ – ١٩؛ محمد بيومى مهران، بنو إسرائيل الجزء الثاني، صـ ٨٦٨، ٨٧٠ ؛

North ,M.,op.cit,pp 267-268 ; Israel.E.,op.cit, p66.

(١) تل أراد على بعد ٢٠ ميلاً إلى الشمال الشرقي من بئر شبعا (غزة) . انظر:

Myers, J.m, "Edoma and judahin The sixth- Fiftn Centaries, B.C."(in) near Eastern studies in Honor of Albright, W.F., Edited By Hans Goedicke, The Johns Hopkins press Baltimore and, London, 1971, p.390.

لك أرسلت لكي أحذرك. إن الرجال ليسوا مع إيليا شب، خشية أن تأتي أدوم إلى هناك[١].

هذه هي الشقفة الوحيدة- حتى الآن- التي تذكر أدوم وتشير إلى نشر فرق عسكرية في توقع لهجوم وشيك- في تلك الفترة - على أراد عبر قلعتها في رامات- نجب ، حيث لا يزال هناك ملك ليهوذا، ولكن من غير المؤكد ، إذا كان هو الملك يهويا قيم بن يوشيا[٢]، أو الملك صدقيا (٥٩٧ - ٥٨٦ ق.م)[٣]وفي كلتا الحالتين فقد كانت أدوم مسئولة عن الإطاحة بأراد[٤].

هذا ويشير النص التالي :

"وَأَرْسِلْهَا إِلَى مَلِكِ أَدُومَ، وَإِلَى مَلِكِ مُوآبَ، وَإِلَى مَلِكِ بَنِي عَمُّونَ، وَإِلَى مَلِكِ صُورَ، وَإِلَى مَلِكِ صَيْدُونَ، بِيَدِ الرُّسُلِ الْقَادِمِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى صِدْقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا.
وَأَوْصِيهِمْ إِلَى سَادَتِهِمْ قَائِلاً: هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: هكَذَا تَقُولُونَ لِسَادَتِكُمْ: [٥]

أن من الواضح الي حد كبير، ومن خلال هذا النص التوراتي ، أن الأدوميين قد لعبوا دوراً هاماً في الأحداث التي أدت إلي سقوط يهوذا، فيما بعد، وخاصة في الفترة المتأخرة والتي ربما تتفق مع العام الرابع من حكم الملك صدقيا،أي في حوالي سنة ٥٩٤ ق.م حيث كان هناك تحالف سري بين يهوذا [٦] وأدوم ومؤاب وعمون

---

(١) Myers . J.M.op.cit, P. 391.

(٢) اسمه الأصلي هو اليقيم، وهو اسم عبري معناه (من يثبته الله) ولما أصبح ملكاً على يهوذا ضمن اسمه لفظ المعبود " يهوه" فأصبح " يهو ياقيم" وهو الابن الأكبر للملك يوشيا ، وحكم لمدة إحدى عشرة سنة (٦٠٩-٥٩٨ق.م) وهناك من يذكر أنه تولى عرش يهوذا بأمر الفرعون المصري نخاوى الثاني- بعد أخيه غير الشقيق (يهو احاز). الذي سرعان ما غير الفرعون المصري اسمه من "اليقيم" الى "يهو ياقيم"

انظر: رشدي البدراوي: أنبياء بني إسرائيل، قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الخامس، القاهرة ، ٢٠٠١، ص ٣٦٧؛ محمد بيومي مهران بنو إسرائيل، الجزء الثاني ، ص ٨٨١ ؛ Noth.,M., op. cit, p 280.; cook, S.A " The fall Judah" CAH, III, 1976, p.399.and Rise of

(٣) قائمه الملك البابلي نبو خذ نصر الثاني ملكاً على يهوذا ، وكان اسمه" متنيا" وسماه صدقيا (٥٩٧ - ٥٨٦ ق.م) وهو (عم) يهويا قيم في رأى توراتي ، و(أخيه) في نص آخر وهو ابن الملك يوشيا (٦٤٠ - ٦٠٩ ق.م) انظر: الملوك الثاني ٢٤ : ١٧ ؛ الأيام الثاني ٣٦ : ١٠ ؛ محمد بيومي مهران ، بنو إسرائيل الجزء الثاني، ص ٨٨٤. ؛ Cook,SA, op. cit, p.399

(٤) Myers, J.m., op.cit, p.391.

(٥) أرميا ٢٧ :٣-١٤؛

Rudolph, w., Jeremia, Tubingen, Mohr, 1947, P. 146. ;
Bright, J., jeremiah, New York: Doubleday,1965,P.195. ;
Malamat, A.,Thelastwars of The Kingdom of Judah, JNES ,9,1950,p.229.

(٦) إن موقف صدقيا من الاشتراك في هذا الحلف، على الرغم من أن الملك الكلداني نبوخذ نصر الثاني، هو الذي عينه ملكاً على يهوذا، ربما يرجع ذلك إلي أن أعداءه في يهوذا من ناحية، والملك الكلداني من ناحية أخرى يهددونه عن طريق الإشارة إلي بديله الملكي يهو ياكين.

انظر : محمد بيومي مهران. بنو إسرائيل الجزء الثاني، ص ٨٨٥؛ Malamat , A., op.cit , p224

وصور وصيدا، وربما كان بتحريض من مصر [١]، لبحث إمكانية القيام بتمرد ضد الملك الكلداني نبوخذ نصر الثاني[٢] (٦٠٥ – ٥٦٢ ق.م)،[٣] حيث أنه قد تحقق لهذا الحلف استرجاع الكثير مما استولى عليه هذا الملك الكلداني في العام التاسع والعاشر من حكمه [٤] مما بدا بالنسبة للمتحالفين أنه الوقت المناسب للتخلص من نير حكمه، وهناك إشارة في التوراة على أن صدقيا، قد استدعى إلي بابل لتقديم تفسير عن ذلك كله.

على أية حال، فإن "إبريس" (٥٨٩ – ٥٧٠ ق.م)[٥] ملك مصر في عهد الأسرة السادسة والعشرين ، قد قام بدور رئيسي في اتخاذ القرار بالثورة ، ولابد – والأمر كذلك– أن الفرعون المصري قد أعطى تأكيدات بمساعدات عسكرية للمتحالفين ومن ضمنهم أدوم ، مما حدا بالملك صدقيا التمرد على الملك الكلداني نبوخذ نصر الثاني ، حيث يشير النص التالي :

"لأنهُ لأجل غضب الرَّبِّ على أورُشليمَ ويَهُوذا حتَّى طرَحَهُمْ
منْ أمامِ وَجْهِهِ، كانَ أنَّ صدقيَّا تمرَّدَ على ملكِ بابلَ. [٦]".

الحقيقة الهامة هي أن أدوم كانت لا تزال أحدى الدويلات أو الإمارات المتحالفة في كنعان وسوريا وفينيقيا، ولم تكن بعد خصماً عنيداً قوياً ليهوذا.

مهما يكن من أمر فقد تم تعيين جداليا بن اخيقام بن شافان حاكماً على يهوذا [٧] ، من قبل الملك الكلداني نبوخذ نصر الثاني. ولا نعرف من الذي أوصى به نبوخذ نصر

---

[١] كانت مصر مهتمة كل الاهتمام بالعلاقات بين يهوذا وبابل، باذلة جهودها لإحداث ثورة وتمرد في يهوذا ضد الملك البابلي الكلداني نبوخذ نصر الثاني. ومن ثم فقد بثت الموالين والمشايعين لها بين الشعب وقواده، مما أدى إلى زيادة التوتر بين أحزاب المعارضة في يهوذا.

انظر: محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل الجزء الثاني، ص ٨٨٥ ؛ Malamat , A., op.cit , p224

[٢] ارميا ٢٦: ٢٢ – ٢٤ ؛ ٢٧ : ٣ ؛ حزقيال ١٧ : ١٥ ؛ لا نكستر هاردنج ؛ آثار الأردن، تعريب سليمان موسى، الطبعة الثانية، عمان ١٩٧١م، ص ٤٨. ؛

Kenyon, K.M., Archaeology in the Holy land, London, 1970 pp. 294 – 296.

[٣] هناك دراسة متكاملة تذكر أن فترة حكمه كانت بين ٦٠٤ – ٥٦٢ ق . م .

انظر: حياة إبراهيم محمد: نبوخذ نصر الثاني، ٦٠٤ – ٥٦٢ ق م ، بغداد ١٩٨٣م ؛

Kitchen, K.A., Documentation For Ancient Arabia, Part I , Liverpool University Press, 1994, P.256.

[٤] Wiseman, J.D., Chronicles of. Chaldean Kings, London: The British Academy, 1956, PP. 72 – 73;
Oppenheim, A.L., "The conquest Of Jerusalem" ANET, P. 563;
Malamat, A. , op. cit., p. 224.

[٥] هو "واح إيب رع"، وتذكره التوراة باسم "حفرع" و"إبريس" عند اليونان. انظر:
محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم (٣) مصر، الجزء الثالث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨، ص ٦٥٤. ؛ Cook. S.A, op. cit. , p. 399.

[٦] ارميا ٥٢ : ٥٩ ؛الملوك الثاني ٢٤ : ٢٠ ؛

Keller, W., op.cit , p. 281 ؛
Cook, S.A. , op. cit , p. 400

[٧] أراد نبوخذ نصر الثاني أن يقيم ملكاً يهودياً بعد اقتحام أورشليم ، فأقام جداليا ملكاً وهو من أحد أبناء الموظفين الكبار بالدولة، وبما أن أورشليم قد أحرقت تماماً فقد اتخذ الملك الجديد من (المصفاة)على بعد ٨ كيلا شمال شرق أورشليم عاصمة جديدة له. انظر:

الثاني ليشغل هذا المنصب الجديد ، وتشير التوراة إلى أنه في هذه الأثناء كان اليهود الذين قد فروا الى مؤاب وعمون وآدوم وأماكن أخرى، قد عادوا إلى أرضهم لكي يجمعوا المحاصيل الصيفية كما يشير إلى ذلك النص التالي :

١١ وَكَذلِكَ كُلُّ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي مُوآبَ، وَبَيْنَ بَنِي عَمُّونَ، وَفِي أَدُومَ، وَالَّذِينَ فِي كُلِّ الأَرَاضِي، سَمِعُوا أَنَّ مَلِكَ بَابِلَ قَدْ جَعَلَ بَقِيَّةً لِيَهُوذَا، وَقَدْ أَقَامَ عَلَيْهِمْ جَدَلْيَا بْنَ أَخِيقَامَ بْنِ شَافَانَ، ١٢ فَرَجَعَ كُلُّ الْيَهُودِ مِنْ كُلِّ الْمَوَاضِعِ الَّتِي طُوِّحُوا إِلَيْهَا وَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ يَهُوذَا، إِلَى جَدَلْيَا، إِلَى الْمِصْفَاةِ، وَجَمَعُوا خَمْرًا وَتِينًا كَثِيرًا جِدًّا. (١)

هناك تساؤل عما إذا كان تحالف تلك الدويلات أو الإمارات قد انتهي آنذاك ، أم أن هناك سبباً آخر لوجود اليهود بينهم، لكي يتمتعوا بالحماية ؟ وهناك من يقترح أن دويلات المدن الفينيقية وأيضاً عمون، قد دعمت يهوذا حتى نهايتها المريرة، بينما لم يفعل الآدوميون، وربما المؤابيون ذلك .(٢) وإذا كان ذلك صحيحاً، فلابد أنه قد سُمح لليهود الفارين إلي آدوم وعمون ومؤاب وغيرها بالعودة إلي يهوذا ، على أمل مساعدة جداليا في إعادة تنظيم يهوذا ، أو ربما استعدادا لمحاولة جديدة للتخلص من السيطرة البابلية الكلدانية(٣) . ومن ناحية أخرى فإن اليهود العائدين من آدوم ومؤاب كانوا ، بالطبع، سيزيدون من قوة جداليا.والذي اتخذ من المصفاة – على بعد ثماني كيلومترات من الشمال الشرقي لأورشليم – مركزاً له ، ربما احتقاراً لأورشليم (بيت المقدس) (٤) الثائرة ، وربما لأن المصفاة لم تتعرض لسوء مثل باقي المدن اليهودية الأخرى في معارك ٥٨٩ ، ٥٨٧ ق.م هذا وقد قوى جداليا نفوذه بأن جعل أرميا ، الذي أصبح عجوزاً في ذلك الوقت ، واحداً من أكبر مستشاريه الجديرين بالثقة ، ومن ثم فقد تمتع جداليا بإخلاص جزء من سكان يهوذا ، وتعهد لهم بأن يتصرف كوسيط بينهم وبين البابليين الكلدانيين ، وهكذا تغلبت سياسة المهادنة على جماعات حرب العصابات ، وهم بقايا الجيش اليهودي (٥)

رشدي البد راوي، المرجع السابق، ص ٣٧٢ – ٣٧٣.

(٤) ارميا ٤٠ : ١١ – ١٢ ؛

North, M., op . cit, P. 288 ;

Cook, S.A, op. cit , pp. 402 – 403

(١)Ginsberg. Alexander Marx jubilee Volume (New York: the Jewish Theological seminary of America, 1950, PP. 364 – 365.

(٢) أرميا ٤٠ : ١١ – ١٢ ؛

Frank.H.T. Archaeological , Comparison to the Bible ,London ,1972, pp.152ff

(٣) أحمد محمود صابون : القدس : أسماؤها بين الحقائق التاريخية وتحديد الهوية العربية " ، التاريخ العربي ، العدد السابع عشر الرباط ، شتاء ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، ص٧ ، ٣٥ .

(٤) محمد بيومي مهران : بنو إسرائيل الجزء الثاني ، ص ٨٩٦ – ٨٩٧ .

أيا كان الأمر، فإن العداء قد تطور بين يهوذا وأدوم بعد هذا التحالف كما تشير التوراة [١]، وهذا التطور، يمكن أن يفسر، فقط، على أساس تحول مفاجئ من جانب الأخيرة (أدوم) ضد يهوذا، خاصة مع عدم وجود أية إشارة إلي حملة بابلية كلدانية ضد أدوم، على الرغم من أن يوسف بن متى[٢] يذكر إخضاع مؤاب وعمون في فترة ما في السنة الخامسة من تدمير أورشليم (بيت المقدس) من قبل الدولة البابلية الكلدانية ، أي في حوالي سنة ٥٨٠ ،٥٨٢ق. م[٣]، وهذا ليس أكثر من تخمين ، فربما بقيت أدوم كحليف ، أو بمناي عن ذلك في تلك الفترة الحاسمة . إلا أنه يظهر أن أدوم قد انضمت إلي الملك البابلي الكلداني نبوخذ نصر الثانى، كقاهر ليهوذا، ويتضح ذلك من نصين توراتيين :

١ اِقْتَرِبُوا أَيُّهَا الأُمَمُ لِتَسْمَعُوا، وَأَيُّهَا الشُّعُوبُ اصْغَوْا. لِتَسْمَعِ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ وَكُلُّ نَتَائِجِهَا.
٢ لأَنَّ لِلرَّبِّ سَخَطًا عَلَى كُلِّ الأُمَمِ، وَحُمُوًّا عَلَى كُلِّ جَيْشِهِمْ. قَدْ حَرَّمَهُمْ، دَفَعَهُمْ إِلَى الذَّبْحِ.
٣ فَقَتْلاَهُمْ تُطْرَحُ، وَجِيفُهُمْ تَصْعَدُ نَتَانَتُهَا، وَتَسِيلُ الْجِبَالُ بِدِمَائِهِمْ. ٤ وَيَفْنَى كُلُّ جُنْدِ السَّمَاوَاتِ، وَتَلْتَفُّ السَّمَاوَاتُ كَدَرْجٍ، وَكُلُّ جُنْدِهَا يَنْتَثِرُ كَانْتِثَارِ الْوَرَقِ مِنَ الْكَرْمَةِ وَالسُّقَاطِ مِنَ التِّينَةِ. ٥ لأَنَّهُ قَدْ رَوِيَ فِي السَّمَاوَاتِ سَيْفِي. هُوَذَا عَلَى أَدُومَ يَنْزِلُ، وَعَلَى شَعْبٍ حَرَّمْتُهُ لِلدَّيْنُونَةِ.
٦ لِلرَّبِّ سَيْفٌ قَدِ امْتَلأَ دَمًا، اطَّلَى بِشَحْمٍ، بِدَمِ خِرَافٍ وَتُيُوسٍ، بِشَحْمِ كُلَى كِبَاشٍ. لأَنَّ لِلرَّبِّ ذَبِيحَةً فِي بُصْرَةَ وَذَبْحًا عَظِيمًا فِي أَرْضِ أَدُومَ. ٧ وَيَسْقُطُ الْبَقَرُ الْوَحْشِيُّ مَعَهَا وَالْعُجُولُ مَعَ الثِّيرَانِ، وَتَرْوَى أَرْضُهُمْ مِنَ الدَّمِ، وَتُرَابُهُمْ مِنَ الشَّحْمِ يُسَمَّنُ. ٨ لأَنَّ لِلرَّبِّ يَوْمَ انْتِقَامٍ، سَنَةَ جَزَاءٍ مِنْ أَجْلِ دَعْوَى صِهْيَوْنَ. [٤]
عَنْ أَدُومَ: «هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: أَلاَ حِكْمَةَ بَعْدُ فِي تِيمَانَ؟ هَلْ بَادَتِ الْمَشُورَةُ مِنَ الْفُهَمَاءِ؟ هَلْ فَرَغَتْ حِكْمَتُهُمْ؟[٨] أَهْرُبُوا. الْتَفِتُوا. تَعَمَّقُوا فِي السَّكَنِ يَا سُكَّانَ دَدَانَ، لأَنِّي قَدْ جَلَبْتُ عَلَيْهِ بَلِيَّةَ عِيسُو حِينَ عَاقَبْتُهُ [٥].

---

[٥] أرميا ٢٧ : ٢ .
[٦] josephus: Ant. 10 : 9 : 7
[١] كان التدمير في سنة ٥٨٧ ق. م، أو في سنة ٥٨٦ ق. م على رأي آخر انظر: إسرائيل والفنسون: المرجع السابق، ص ٣٢ – ٣٣؛ محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل الجزء الثاني، ص ٩٠٠.
[٢] اشعياء ٣٤ : ١ – ٨؛ ؛ نسيب وهيبه الخازن: المرجع السابق، ص ٧١ – ٧٣.
[٣] ارميا ٤٩ : ٧– ٨ .

هكذا يتضح من النصيين أنهما يشيران إلي اشتراك الآدوميين في نهب أورشليم ، وإبادة اليهود مع نبوخذ نصر الثاني. كما يتبين من النصين أيضاً، عبارات تدل على منتهى الحقد والكراهية والانتقام الذي يضمره اليهود للآدوميين.

لعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى نص توراتي آخر يشير إلي اشتراك (الآراميون) ، ضمن جيش نبوخذ نصر الثاني في هجومه على أورشليم

"فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين وغزاة الآراميين وغزاة المؤبيين وغزاة بني عمون وأرسلهم على يهوذا ليبيدها". (١)،

الذي يرى فيه أحد الباحثين أن لفظة "الأراميين" المشار إليها في النص يجب أن تستبدل بـ (الآدوميين) على اعتبار أنهم هم الذين شاركوا ضمن التحالف مع جيش نبوخذ نصر الثاني ، حيث إنه من الضروري أن يكون هناك عملاً عدائياً قد ارتكبته آدوم ، على وجه الخصوص ، ضد يهوذا في تلك الفترة (٢).

هذا بالإضافة إلي نصين توراتيين آخرين (٣) يشيران إلي أن الرب "يهوه" سينتقم من آدوم، لما فعلوه من إساءة ضد يهوذا ، وأنه سوف يدمر آدوم ، وأنها ستعاني الحرمان. ويتضح من هذين النصين -أيضاً - أنهما يعكسان فترة متأخرة عمّا جاء في نص توراتي سابق جاء فيه :

١٢ « هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ أَنَّ أَدُومَ قَدْ عَمِلَ بِالانْتِقَامِ عَلَى بَيْتِ يَهُوذَا وَأَسَاءَ إِسَاءَةً وَانْتَقَمَ مِنْهُ، ١٣ لِذلِكَ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: وَأَمُدُّ يَدِي عَلَى أَدُومَ، وَأَقْطَعُ مِنْهَا الإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ، وَأَصَيِّرُهَا خَرَابًا. مِنَ التَّيْمَنِ وَإِلَى دَدَانَ يَسْقُطُونَ بِالسَّيْفِ. ١٤ وَأَجْعَلُ نَقْمَتِي فِي أَدُومَ بِيَدِ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ، فَيَفْعَلُونَ بِأَدُومَ كَغَضَبِي وَكَسَخَطِي، فَيَعْرِفُونَ نَقْمَتِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. (٤)،

هكذا نجد أن النص يتضمن الإشارة إلي خيانة آدوم ليهوذا خلال الغزو البابلي الكلداني ، حيث كانت هناك مشاركة قوية ، وبطريقة ما، إلي جانب الغازي. كما أن هناك إشارة إلى استفادة آدوم من التفريغ والإحلال، الذي فعله نبوخذ نصر الثاني في أرض كنعان ، أو على الأقل عدم قدرة أولئك الذين بقوا في الأرض على الدفاع عن أنفسهم، مع الإشارة إلي العداوة المستمرة لآدوم ، وعلى الرغم من أن شعب آدوم كان خاضعاً للضغط ، الذي كان سيجتاح أرضهم فيما بعد ، والذي لم يكن مفاجئاً مثلما

---

(١) الملوك الثاني ٢٤ : ٢ ، ارميا ٣٥ : ١١ .

(٢) Myers, J. M, op.cit, P380.

(٣) خزقيال ٣٥ ؛ ٣٦

(٤) خزقيال ٢٥: ١٢- ١٤

حدث ليهوذا[١] ، فهناك عبارات وتعبيرات تصف الاشمئزاز الذي شعر به شعب يهوذا تجاه الموقف غير الطبيعي لأدوم، والذي وصف بالخيانة في ساعة الكرب. وكيف إن أدوم تفخر بأنها في مكان منيع يقع في منحدرات من الصخور، طبقاً لموقعها التضاريسي ، وأنها مثل العش بين النجوم ، وعلى الرغم من ذلك فإن حكم "يهوه" بالعقاب سوف يحيق بها[٢].

هذا وتشير حفائر تمت في عين جدي ، والتي كانت مستوطنه هامة في نهاية فترة يهوذا كما يؤكد ذلك نص توراتي جاء فيه :

١٠ وَيَكُونُ الصَّيَّادُونَ وَاقِفِينَ عَلَيْهِ. مِنْ عَيْنِ جَدْيٍ إِلَى عَيْنِ
عِجْلايمَ يَكُونُ لِبَسْطِ الشِّبَاكِ، وَيَكُونُ سَمَكُهُمْ عَلَى أَنْوَاعِهِ كَسَمَكِ
الْبَحْرِ الْعَظِيمِ كَثِيرًا جِدًّا. [٣]

حيث يشير النص إلى الحياة المزدهرة في عين جدي على الأيام الأخيرة لدولة يهوذا وكما يتضح ذلك من خلال فحص القطع الفخارية الكثيرة والتي وجدت في الطبقة الخامسة (لتل جودن) التي تؤكد أن المنطقة كانت مركزاً هاماً ومزدهراً في أواخر القرن السادس وأوائل القرن الخامس قبل الميلاد، وقد كان هذا الموقع قصير المدى التاريخي والحضاري نسبياً، والذي دمر بالكامل بفعل الحريق ، والذي كان بدون شك بواسطة نفس القوة التي كانت مسئولة عن تدمير أراد في نفس تلك الفترة[٤].

من ثم فإن الاكتشافات والحفائر الأثرية ، إنما تعكس نفس الموقف أو الوضع غير المستقر، الذي تصوره نصوص التوراة للعلاقات بين آدوم ويهوذا ، ولكن الاستثناء الوحيد هو الشقفة الخاصة بـ ايلياشب ، والتي تحذر ضد هجوم آدوم الوشيك . وربما الأهم من ذلك ، هو أن النتائج التي تم التوصل إليها من الحفائر، تدعم وتؤيد الحالة التي يبينها النص التوراتي الذي جاء فيه :

٢٥ وَفِي الضِّيَاعِ مَعَ حُقُولِهَا سَكَنَ مِنْ بَنِي يَهُوذَا فِي قَرْيَةِ أَرْبَعَ
وَقَرَاهَا، وَدِيبُونَ وَقَرَاهَا، وَفِي يَقَبْصَئِيلَ وَضِيَاعِهَا،
٢٦ وَفِي يَشُوعَ وَمُولاَدَةَ وَبَيْتِ فَالِطَ، ٢٧ وَفِي حَصَرَ شُوعَالَ وَبِئْرِ
سَبْعٍ وَقَرَاهَا، ٢٨ وَفِي صِقْلَغَ وَمَكُونَةَ وَقَرَاهَا،
٢٩ وَفِي عَيْنِ رِمُّونَ وَصَرْعَةَ وَيَرْمُوثَ، ٣٠ وَزَانُوحَ وَعَدُلاَّمَ

---

(١) Zimmerli, W., "Ezechiel", BKAT, X 111,8-9:Neukirchen,1962,pp.597-598.; Muilenberg , J., Interpreter,s Dictionary of the Bible, vol .III, New York, and Nashville: Press, 1962, PP. 578 - 579 Abingdon.

(٢) .Myers, J.M. , op.cit., P. 381

(٣) حزقيال ٤٧ : ١٠ ؛

Mazar, Dothan, Dunayevsky. ," En –gedi: The First. and Second Seasons of Excavations "1961 – 1962" Atigot : English Series, Vol. 5, Jerusalem, 1966, PP. 3ff

(٤) Myers, J.M. , op. cit ., P. 391

وَضِيَاعِهِمَا، وَلَخِيشَ وَحُقُولِهَا، وَعَزِيقَةَ وَقُرَاهَا، وَحَلُوا مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ إِلَى وَادِي هِنُومَ [١].

في حقيقة الأمر إنه لم يتم – بعد – العثور على أختام تخص يهوذا خارج حدودها [٢]. وفي الوقت نفسه، تظهر أسماء آدومية في الشقفات التي ترجع إلى فترات من عهود ملوك الفرس، دارا الأول (٥٢٢ -٤٨٦ ق. م)،اكسركزيس (٤٨٥-٤٦٤ ق.م) ارتاكزكسيس الأول (٤٦٥ -٤٢٤ ق. م)، دارا الثاني (٤٢٤ -٤٠٥ ق. م) [٣].

على أية حال فإن الدارس يستنتج من خلال النصوص التوراتية السابقة والمادة الأثرية حول العلاقة ما بين يهوذا وآدوم ما يلي:

أولاً – إن آدوم، كانت في البدء، إحدى أعضاء التحالف، الذي كان يخطط ضد الدولة البابلية الكلدانية في العام الرابع لصدقيا.

ثانياً– نجد في أعقاب الغزو البابلي الكلداني ليهوذا أن أهالي آدوم كانوا مهتمين ببعض النشاط العدائي الذي أثار شعب يهوذا ضد الآدوميين، حيث يتهمونهم بإضرام النار في المعبد، وربما أنهم قد قدموا بعض المساعدات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلي الغزاة البابليين الكلدانيين، وأنهم قد سدوا أو أغلقوا مفرق الطرق، وهي طريق الهروب لأولئك اليهود الفارين من أعدائهم البابليين الكلدانيين. ولا يمكن القول؛ بدون دليل، أنهم قد انضموا بالفعل إلي جيش نبوخذ نصر الثاني، كما افترض البعض.

ثالثاً – أنه على الرغم من أن آدوم أبعدت عن مكانها القديم في سعير،إلا أن أهالي آدوم كانوا لا يزالون في أرضهم الأم عندما تفوه يوئيل بأن آدوم ستصبح قفراً خربا من أجل ظلمهم لبنى يهوذا، ولكن يظهرأنَ آدوم لم تطرد بشكل مفاجئ ، وربما أن العملية كانت قد بدأت عندما استولي نبونيد، الملك البابلي الكلداني (٥٥٢ -٥٣٩ ق.م)، على الطرق التجارية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية حوالي منتصف القرن السادس قبل الميلاد [٤]، ووصلت ذروتها مع نهاية القرن نفسه. وقد أشير غالبا إلي أن مثل هذه التغييرات تأخذ باستمرار شكل تسرب، مما يبدو أن هذه هي أحدى الطرق، التي أخرج بها أهالي آدوم من رسوخهم وثباتهم.

---

[١] نحميا ١١ : ٢٥ -٣٠.

[٢] حتى الآن فقط في أورشليم، رامات راهل، بيثاني، عين جدي، تل النسبة، جزر.
انظر . Myers, J. M., op.cit., P. 392,n.61.

[٣] cf. : Zimmern, H., Die Keilinschriften und das Alte Testament von Eberhard Schrader, rd .ed, Berlin: Reuther and Reichard, 1903, PP. 472 – 473;
Myers, J.M , op.cit ., P.392.

[١] Daugherty, R.H., Nabonidus and Belshazzer, New Haven: yale University Press, 1929, PP. 150 – 157.

رابعاً – إن الحقيقة التي تقول إن أدوم كانت لا تزال موجودة في سعير في الربع الأخير من القرن السادس قبل الميلاد لا تنفي انتهاكها أو تعديها على جنوب شرق يهوذا، بعد الغزو الأخير البابلي الكلداني لنبوخذ نصر في عام ٥٨٢ ق. م [١].

خامساً – نستدل من بعض النصوص المسمارية الخاصة بالحملات العسكرية التي قام بها الملك البابلي الكلداني نبوخذ نصر الثاني وجيشه، إضافة إلي بعض إشارات التوراة إلي النشاط العسكري المكثف، الذي شغل عهد هذا الملك في أرض كنعان ، والتي منها حصار أورشليم، والذي استمر حوالي سنة ونصف السنة، وذلك استنادا لما ورد في التوراة، وذلك لتأكيد النفوذ البابلي الكلداني، ولمنع قيام أي تمرد أو عصيان ضد بابل[٢].

سادساً – يتضح أن السياسة التي انتهجها الملك البابلي الكلداني نبوخذ نصر الثاني نحو الحكام اليهود لم تكن جديدة ، لأن موقف الحكام اليهود هو الآخر لم يكن جديداً، حيث اعتمدوه–من قبل– مع الآشوريين وتكرر موقفهم في عهد الملك البابلي الكلداني نبوخذ نصر الثاني أكثر من مرة.[٣]

سابعاً – أن عقب السبي البابلي الأخير، أتيحت الفرصة، التي كانت ممتازة وفي صالح الآدوميين، ليتقدموا إلى منطقة يهوذا ، والتي كانت خالية سياسيا، بالإضافة إلى أنه تم التخلي عن الأرض التي إلى الجنوب من بيت زور إلي آدوم في عام ٥٩٨ ق . م. ومن هنا ربما يتساءل المرء كيف بقيت آدوم حليفة ليهوذا، ومن ثم دخلت في التمرد ضد الدولة البابلية الكلدانية في عام ٥٩٤ – ٥٩٣ ق . م[٤].

ثامناً – إن العلاقة بين الطرفين بشكل عام تذبذبت بين العداء والتحالف وفقاً لطبيعة الظروف الدولية وموازين القوى والتي جعلت من يهوذا طرفاً أساسياً أمام القوى الكبرى كمصر وبابل ، وجعلت من السياسة الآدومية بمثابة رد فعل طبيعي للأحداث.

---

[٢] Albright's Letter to Ginsberg, H.L., (in) Alexander Marx Jubilee Volume, English Section, P. 364, n 479 .

[٣] حياة إبراهيم محمد: المرجع السابق، ص ١١٢.

[٤] نفس المرجع السابق، ص ١١٢.

[١] Mazar, Dothan, Danayevsky, op. cit., PP3 ff.
North, M., op.cit ., P. 325.
Myers, J.M., op.cit., P.387.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : العربية

(التوراة) العهد القديم

أحمد محمود صابون :" **القدس** :أسماؤها بين الحقائق التاريخية وتحديد الهوية العربية "، التاريخ العربي ، العدد السابع عشر ، الرباط ، شتاء ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

إسرائيل والفنسون: تاريخ اللغات السامية، دار العلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

حياة إبراهيم محمد: نبوخذ نصر الثاني، ٦٠٤ – ٦٢ ق .م، بغداد ١٩٨٣م.

رشدي البدراوى: أنبياء بني إسرائيل، قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الخامس، القاهرة ، ٢٠٠١.

محمد بيومى مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، الرياض ،١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

بنو إسرائيل، الجزءان الأول ، الثاني، التاريخ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،١٩٩٩م.

مصر والشرق الأدنى القديم (٣) مصر، الجزء الثالث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

: مصر والشرق الأدنى القديم(٨) بلاد الشام،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٤١٠هـ /١٩٩٠ م.

محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

ثانياً : المترجمة

لا نكستر هاردنج: آثار الأردن، تعريب سليمان موسى، الطبعة الثانية، عمان ١٩٧١م.

ولزا، هـ.ج: معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، المجلد الثاني، الطبعة الثالثة. القاهرة ١٩٦٩م.

ثالثاً : الأجنبية

Albright's Letter to Ginsberg, H.L., (in) Alexander Marx Jubilee Volume11, English Section.

Altheim, F., and Stiehi, R, Die Araber inder. Altenwelt, Berlin, 1964- 1968.

Avi –Yonah,M., Ecyclopdia Of Archaeological Excavoitions in The Holy Land, 4 Vols, Oxford, 1978.

Bright, J., Jeremiah, New York: Doubleday,1965.

Cook,S.A.,"The Fall and Rise of Judad", CAH,III,1976.

Calling, k., "Das Gemeindegesatz. In Deuteronomiwm. 23", (in) Festschrift Fur Alfred Berthdet, (Tubingen: Mohr,1950).

Daugherty, R.H., Nabonidus and Belshazzer, New Haven: Yale University Press, 1929.

Eissfeld, O., "The Hebrew kingdom", CAH, vol. II, Part 2.

Frank.H.T, Archaeological , Comparison to the Bible ,London ,1972.

Finegan,J., Light From The Ancient Past , The Archaeological Background of Judaism and Christianity ,Princeton,1969 .

Gardiner, A.H, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1964

Ginsberg , Alexader Marx Jubilee Volume, New York: The Jewish Theological Seminary of America, 1950.

Hall, H.R., The Ancient History of the Near East, London, 1963 ,

Hastings, A, Dictionary of the Bible. Edinburgh, 1936.

Israel , E. , The Ancient Arabs, Leiden,1982.

Keller, W., The Bible as History, Archaeology Confirms The book of Books Thirteenth Impression, in Greate Britain. 1967.

Kennedy. A.B.W, Petra, History and Monumerits, London, 1925,

Kitchen, K.A., Documentation For Ancient Arabia, Part I , Liverpool University Press, 1994.

Kenyon, K.M., Archaeology in The Holy land, London, 1970.

Lods, A., Israel from it's Begnnings to the Middle of the Eighth Century, London, 1962.

Myers, J.m, "Edoma and Judah -in- the Sixth- Fiftn Centuries. B.C." Near Eastern Studies in Honor of Albright, W.F., Edited By Hans Goedicke, The Johns Hopkins Press Baltimore and, London, 1971.

Malamat,A., 'The Last. Wars of The Kingdom of Judah',JNES,9, 1950.

Muilenberg,J., "Interpreter`s Dictionary of the Bible, vol .III, New York, and Nashville: Abingdon. Press, 1962.

Mazar, Dothan, Dunayevsky. , En –gedi: The First. and Second Seasons of Excavations 1961 – 1962 Atiqot : English Series, Vol. 5, Jerusalem, 1966 .

North, M., The History of Israel, London, 1965.

Oppenheim, A.L., "The Conquest Of Jerusalem", ANET .

Rudolph, W., Jeremia, Tubingen, Mohr, 1947 .

Wiseman, J.D., Chronicles of Chaldean Kings, London: The British Academy, 1956.

Zimmerli,W.,"Ezechiel"BKAT,X 111,8-9:Neukirchen,1962.

Zimmern, H., Die Keilinschriften und das alte Testament von Eberhard Schrader, 3 rd. ed., Berlin: Reuther und Reichard, 1903.